تشكيل الصّورة الشّعرية في معلقة الحارث بن حلزة اليشكري

م. د. سلوى جابر عبد اللطيف*

ملخص البحث :

تُعد الصورة عملية تفاعل بين الشاعر والمتلقي للأفكار والحواس بقدرة الشاعر على تشكيلها والتعبير عنها بأساليب بيانية او منطلقات التضاد الصوري ، وقد بدت الصورة الشعرية في معلقة الحارث بن حلزة اليشكري بشكل جلي بالمقدمة الطللية من الغزل والوقوف بالديار ووصف الناقة ومن ثم الموضوع الأساس من الدفاع عن القبيلة لتفنيد أقوال التغلبيين والموازنة بين مفاخر البكريين ومخازي التغلبيين بدهاء وخوف فضلاً عن مدح الملك للوصول الى النصر المبين إذ تمثل هذه المعلقة مثالاً للشعر السياسي في العصر الجاهلي الذي يقدمه الشاعر بتشكيلات متنوعة للصور .

قام البحث على تمهيد ومبحثين، تضمّن التمهيد تحديد مفاهيم مصطلحات البحث :(التشكيل والصورة الشعرية) لوضع التصور الذي يقام عليه التحليل ، وخُصّ المبحث الأول لدراسة (تشكيل الصورة الشعرية على وفق المعيار البلاغي القديم) من حيث صور التشبيه والاستعارة والكناية ، في حين خص المبحث الثاني لدراسة (تشكيل الصورة الشعرية على وفق المعيار النقدي الحديث) بالتضاد الصوري من حيث (الصورة الثابتة والصورة المتحركة) و (الصورة الجزئية والصورة الكلية) و (الصورة البسيطة و الصورة المعقدة) .

قام البحث على دراسة تحليلية بلاغية ونقدية لتلمس جماليات التشكيل الصوري في معلقة الحارث بن حلزة اليشكري واستنباط الدلالات التي تمخضت عنه .

* جامعة الموصل / كلية التربية الاساسية.

Abstract

waqad badat alsuwrat bihadhih alsuwra, almuealibat , almuealabat min alghazl walwuquf bialdiyar , waealaqat alsuwrat , waealiat min alghazl walwuqufi. litafnid 'aqwal altaghlubiiyn walmanat bayn mufakhir , aljahili yuqadimuh alshaaeir bitashkilat mutanawieat lilsuwri.

qam albahth tamhid albahth wamabhath fi tamhid albahth , tamhid tahdid mafahim mustalahat albahth: wade altasmim walsuwrat alshieriat liwade altasawur aladhi yuqam ealayh altahlil , wakhasm albahth alawil lidirasa (tashkil alsuwrat walaistierad walaistierad walbina' alqadima) min hayth suar altashbih walaistiearat walkinayat , fi hin khasa albahth althaani lidirasa (tashkil alsuwrat aleamati) w (alsuwrat aljuzyiyat walsuwrat almutaharikati) w (alsuwrat alkamilat walsuwrat almueaqadati

qam bidirasat tahliliat lidirasat balaghiat wanaqdiat litalmusiha wahayawaniha.

التمهيد : تحديد مفاهيم مصطلحات البحث

١ – التشكيل :

يُعدّ التشكيل "الصورة اللفظية المنطوقة أو المكتوبة على مستوى كل جزء من الأجزاء التحليلية للتعبير الكلامي ، أو على مستوى التركيب الكلامي"[١] . فاللّغة هي نظام اشكال إذ يتضمن الشكل "خاصية مشتركة مع كل الجمل ، والصيغ اللغوية ، وهو أنه يغير شيئاً بفضل تركيبه النحوي"[٢] . يعود الجذر اللغوي للفعل (شكل) اولاً نحو الصيغة المفهومة الأقرب الى التشكيل ، قبل أن يتحول الى مصطلح (التشكيل) إنطلاقاً من هذا التدرج . فالشكل هو المرور من صورة أو شكل الى أخر بمعنى أنه لحظة تحول ، وانتقال وتأثير مرحلي في صوغ المفهوم ، وهو يشير الى فعالية اجرائية في صيرورة المصطلح (التشكيل) بعد أن تنتهي من عملية المرور من صورة أولية وشكل أولي الى

(١) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، د. فاضل مصطفى الساقي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٧ : ٨٠ .

(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل ، دار نوبار للطباعة .،ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٦ : ١٧٥

صورة اخرى وتشكل أخر تتكون فيه الصورة الشكل تبلوراً أو استقراراً، لذا يطلق العرب القدماء على كل ما يأخذ صورة ، أو هيئة بالتصور والتشكيل[١]

ويعد مصطلح التشكيل أحد العناصر الاساسية في تكوين الخطاب الشعري بمتنه النصي ولابد من أدراكه وتقييمه إذا ما أردنا فحص الخطاب في مجاله النصي وبمعاينته نقدياً[٢] ، فإذا كان الشكل هو الذي يصنع القطب الفني (نص الأديب) فإنّ التحقق هو الذي يصنع القطب الجمالي (منجز القارئ) فيمكن ان يكون التشكيل النقطة التي تقع بينهما اذ تجمع التشكيل والتحقيق ، ويتفاعل بين القطبين الفني والجمالي لأنّ مصطلح التشكيل له دور كبير في ترتيب العلاقة بين النص والقارئ ثم انتقل الى مصطلح التشكيل لوضع هذه العلامة موضع التنفيذ الفني الجمالي استناداً الى طبيعة الكل الأدبي الذي يتوسط بين النص القارئ . لذا يتألف التشكيل من شبكة عناصر ومكونات وأدوات تحتشد في سياق تكويني مؤتلف لبناء فضاء المصطلح في التشكيل الفرعي ، والتلقائي فضلًا عن الإندماج ، والتوازن ، والذروة لمنح النص قوته الجمالية والفنية في التشكيل، والتعبير، والتصوير[٣] .

٢- الصورة الشعرية

يستعمل مصطلح الصورة للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي[٤] فالصورة "رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة"[٥] لذا تُعدّ الصورة جوهر فن الشعر[٦] وتؤلف الصورة لوحة من كلمات تقدّم ما تحمله بالحس ، والإيحاء[٧] . وتمثل الصورة "أداة فنية لاستيعاب الشكل والمضمون بما لها من مميزات وما بينها من وشائج"[٨] . لذا تعكس الصورة

---

(١) ينظر : التشكيل النصي : الشعري ، السردي ، السيرذاتي ، د. محمد صابر عبيد ، مؤسسة اليمامة ،ط١، الرياض ، ٢٠١٣ : ١٦٢ – ١٦٣.

(٢) ينظر : التشكيل النصي : الشعري ، السردي ، السيرذاتي : ١٦٨.

(٣) : ينظر: م. ن : ١٦٣-١٦٥ .

(٤) ينظر : الصورة الادبية ، د. مصطفى ناصف ، دار الاندلس ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨١ : ٣ .

(٥) الصورة الشعرية ، د.ي .لويس ، ترجمة : د. احمد نصيف الجنابي ومالك ميري ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٢ : ٢١ .

(٦) ينظر: النظرية البنائية في النقد الادبي ، د. صلاح فضل ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ : ٢٧٧ .

(٧) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر عصفور ، دار التنوير ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٣ : ٣٩٢ .

(٨) الصورة الفنية في المثل القراني ، د. محمد حسين علي الصغير ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ : ٣٧ .

ما يحسّ به الشاعر من امتزاج بين الفكرة التي يريد التعبير عنها والعاطفة التي تضيف الى الواقع ما تضيفه[١]. لذا يبدو في الصورة "التأثير الذي يخلقه في نفوسنا التفاعل الفني بين الفكرة والرؤية الحسية عن طريق جودة الصوغ والسبك بلغة شعرية انفعالية صافية بعيدة عن التجريد المستغلق والخطابية المباشرة [٢] ، لذا يكون المبدأ الذي ينظم الصورة هو التوافق بين الموضوع والصورة التي تضيء الطريق للموضوع وتساعد على كشفه وينمو الموضوع على انتشار الصور [٣].

للصورة الشعرية فلسفتها الجمالية المختلفة في المعالجة الفنية ولعلّ أبرز مظاهر هذا التغير هو ما يكمن في طاقاتها التعبيرية التي لا تقف عند مجرد المعنى ، وإنما تثير معنى اخر هو (معنى المعنى)[٤] ، لذا تكون الصورة أداة الخيال[٥] ، ووسيلته ومادته المهمة التي تمارس فيها فيها فاعليته ، ونشاطه .

المبحث الأول : تشكيل الصورة الشعرية على وفق المعيار البلاغي القديم :-

١- الصورة التشبيهية :-

يعرف السكاكي (ت ٦٢٦هـ) التشبيه تعريفاً شاملاً إذ يقول : "أن التشبيه مُستدع طرفين: مشبهاً ومشبهاً به ، واشتركا بينها في وجه وافترقا من آخر"[٦] ، ويعرف القزويني (ت ٧٣٩هـ) التشبيه بانه "الدلالة على مشاركة امر لأمر في معنى من المعاني ، ما لم تكن هذه المشاركة على وجه الاستعارة الحقيقية ، والاستعارة المكنية"[٧] لذا يكون التشبيه الدلالة على مشاركة أمر أمر لأمر في معنى بأداة من ادوات التشبيه الظاهرة أو المقدرة[٨] ، وللبصر من بين الحواس أثر متميز في صوغ التشبيه ونقشه بالألوان المختلفة[٩].

---

(١) ينظر : في المصطلح النقدي ، د. احمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي ، العراق ، بغداد ، ٢٠٠٢ : ٢٠٧

(٢) مستقبل الشعر وقضاياه النقدية ، د. عناد غزوان ، دار الشؤون العامة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩٤ : ١١٩.

(٣) ينظر : الصورة الشعرية : ١٠٠ .

(٤) ينظر : الادب وفنونه ، د. عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٧٦ : ١١٢ .

(٥) ينظر : الصورة الفنية في النقد الشعري ، د. عبد القادر الرباعي ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٩٨٤ : ١١٨ .

(٦) مفتاح العلوم ، السكاكي ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٧ : ١٧٧ .

(٧) شرح التلخيص في علوم البلاغة ، دار الجيل ، ط٢، بيروت ، ١٩٨٢ : ٢٣٩ .

(٨) البلاغة التطبيقية ، د. د. محمد رمضان الجرب ، منشورات جامعة ناصر الخامس ، ط١ ، المغرب ، ١٩٩٧ : : ١٢٦ .

(٩) ينظر " فن التشبيه ، علي الجندي ، المطبعة الفنية الحديثة ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٦٧ : ٣٣

أ- الصورة التشبيهية المفردة

يُعرف هذا النوع من الصورة التشبيهية بأنه "ما كان التشبيه فيه مقصوراً على تشبيه صورة بصورة من غير زيادة ، أو صورة بمعنى"[١].

ومن أمثلة تشكيل الصورة التشبيهية المفردة قول الشاعر في البيت العاشر

بزفُــوفٍ كأنَّــها هِقلَــةٌ أُمُّ رِئــالٍ دِوَّيَّــةُ سَقْسفاءُ[٢]

يقوم تشكيل الصورة المفردة بتشبيه مرسل مفصل لوجود الأركان الاربعة (المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه) لتأدية بشكل صوري يقوم على تشبيه الناقة بالنعامة من حيث اسراعها في السير لذا يعبر المصدر (زفوف) المشتق من زف – يزف – زاف للمبالغة ليوضح الشاعر وظيفة اخبارية بأنه يستعين على إمضاء همه وقضاء أمره عند صعوبة الخطب ، وشدته بناقة مسرعة في سيرها كأن في إسراعها بالسير نعامة لها أولاد لا تفارق المفاوز ، وبذلك تكون الهقلة (النعامة) والظليم هقل (الرأل) ولد النعامة الذي يجمع على رئال .

ومن نماذج تشكيل الصورة التشبيهية المفردة قول الشاعر في البيت الخامس والعشرين

وكأَنَّ المنُــونَ تَردي بِنا أر عَنَ جوناً يَنْجابُ عنهُ العَماءُ[٣]

يُعدّ التشكيل الصوري للتشبيه المفرد بالمرسل المجمل الذي حوى أركان الشبه الأربعة ما عدا وجه الشبه إذ يشبه المنون (الوت) بالرمي والتردي الى الجبل الأبيض والأسود معاً ليعبر عن وجه الشبه الجامع بالأسود في البيت ، وقد عبر الشاعر بهذا التشكيل الصوري عن وظيفة الاخبار من حيث الانجاب أي : الإنكشاف والإنشقاق للسحاب ليتناسب مع مفردات التشبيه التي اراد ان يقدمها للمتلقي وبذلك يحقق التشكيل الصوري جمالية التردي بحركة حسية تدل على إشارة انتباه السامع لما يحدث من اثر الموت في الانسان وعلى مستوى حياته المعاشية ، وقد جمع الشاعر في هذا التشبيه مفردات الطبيعة من الجبل والسحاب فضلاً عن الموضوع الحسي والنفسي الا وهو

---

(١) الطراز ، العلوي ، المكتبة العصرية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠١٢ : ٢٨٦ .

(٢) شرح المعلقات السبع ، الحسن بن احمد الزوزني ، دار الجبل للنشر والطباعة والتوزيع ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٥ : ١٦٢ .

(٣) شرح المعلقات السبع : ١٦٥ .

(الموت) في سياق بياني وأحد يكشف عن الدهر عن جبل أسود ينشق عند السحاب ، مما يدل على عدم تأثر الشاعر وقومه بحوادث الزمن وعدم تقليل العزيمة مما يعبر عن السمو والعلو .

ب- الصورة التشبيهية المركبة

يُعرف التشبيه المركب بأنه تشبيه اختلطت فيه الأمور التي يتكون منها طرفا التشبيه ويتحدان ويتحولان الى صيغة مركبة لا يمكن الفصل بين اجزائها[١] . وعرفه العلوي (ت٧٤٩هـ) قائلاً "ما كان التشبيه فيه تشبيهاً بأمرين او بأكثر من ذلك او تشبيهاً لأمرين بأمرين او اكثر"[٢].

من نماذج الصورة التشبيهية المركبة قول الشاعر في البيتين السادس والسابع :

وَبعينيكَ أوقــدتْ هندٌ النَّا رَ أخيراً تُلوي بها العَليـــاءُ

فتنوَّرتُ نارها مـن بعيــدٍ بخزازى هيهاتَ منك الصلاءَ[٣]

يُقدّم الشاعر تشكيلاً بيانياً يقوم على الصورة التشبيهية المركبة من حيث ايقاد هند النار بمرأى الشاعر وامام ناظريه بتشبيه ذلك الايقاد ببقعة عالية يسير بها إليه من حيث اكتمال الرؤية كاملة، ثم يكمل الشاعر التشبيه بأمر آخر بتنور النار على البعد ولكن مع ذلك يصطلاها، وبذلك تشير صورة ايقاد النار الى الشاعر واصطلائها له ، ومن أمثلة الصورة التشبيهية المركبة قول الشاعر في البيتين الثاني والثالث عشر :

فترى خَلفَها مِن الَّرجع والوَ قْــعِ مَنيناً كأنّـــــهُ أهباءُ

وَطِراقاً مــن خَلْفِهِنَّ طِرَاقٌ ساقِطاتٌ ألوَتْ بِها الصَّحراءُ[٤]

يعرض الشاعر تشكيلاً بيانياً يعتمد على الصورة التشبيهية المركبة من حيث تشبيه (الرجوع للخلف) الرجع والوقع للحفاظ بالغبار الرقيق الذي أثارته ، وذلك بفعل حركة قوائمها وضربها بالأرض للإشارة الى اسراعها مع إصدار غبار رقيق وترتبط هذه الصورة التشبيهية بأخرى بتشبيه طرف الناقة من الخلف بنعلها باطباق من امكنة متعددة ، ومختلفة مما يوحي بقطع الناقة للصحراء ووطؤها لها على ساعات عديدة من النهار ، وبذلك يتحقق التشبيه التركيبي من خلال حركة الناقة وتأثير فعلها في الأرض .

٢- الصورة الاستعارية :-

---

(١) ينظر : علم البيان ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، دار العالم الثقافية ، السعودية ،١٩٩٨ : ١٦

(٢) الطراز : ٢٨٦ .

(٣) شرح المعلقات السبع : ١٦١-١٦٢ .

(٤) شرح المعلقات السبع : ١٦٣ .

يُعرف ابن الاثير (ت ٦٣٧هـ) الاستعارة بأنها :"نقل المعنى من لفظ إلى لفظ للمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول إليه"[١] ، لذا تمثّل الاستعارة استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه فيه مع قرينة تصرف عن إرادة المعنى الأصلي[٢]، وتعد الإستعارة مجازاً لغوياً . إذ أن المجاز اللغوي أعم من الاستعارة وكل استعارة مجاز استعارة وليس كل مجاز استعارة[٣] ، وذلك بذكر أحد طرفي التشبيه وإرادة الطرف الآخر بإثبات للمشبه ما يختص بالمشبه به[٤].

أ- الاستعارة المكنية:-

هي الاستعارة "التي احتفظ فيها لفظ المشبه به ، واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلا عليه"[٥] وهي "أبلغ وأكثر تاثيراً من وأجمل تصويراً ، وذلك لأن العمل الإبداعي فيها أدق منه في الاستعارة "[٦] .

من نماذج تشكيل الصورة في الاستعارة المكنية قول الشاعر في البيت الخامس :

لا أرى مَنْ عَهِدتُ فيها فأبكي اليومَ دَلْهاً وما يُحيرُ البُكاءُ[٧]

يعمل الشاعر على تقديم تشكيل الاستعارة المكنية بتشبيه البكاء بإنسان فحذف المشبه به وابقى لازمة من لوازمه (الحيرة) اي الرد والرجع للإيحاء بهذا التشكيل الاستعاري المكنى بأن الشاعر يبكي اليوم وهو ذاهب العقل ، واي شيء رد البكاء على حاجة بعد فراق الحبيبة ، لذا يتواشج الاستفهام الذي يتضمن الجحود مع الاستعارة المكنية للإشارة الى جزع الشاعر على فراق الحبيبة مع علمه بان البكاء لا يفيد ولا يغير الموقف مطلقاً من ذهاب العقل وازالته .

من نماذج تشكيل الصورة الاستعارية المكنية قول الشاعر في البيت السادس :

وَبعينيكَ أوقدتْ هندٌ النَّا رَ أخيراً تُلوي بها العَلياءُ [٨]

---

(١) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ابن الاثير ، دار نهضة مصر ،القاهرة ، ١٩٧٣ : ١٣٩/١ .

(٢) ينظر : البلاغة فنونها ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، ط١ ، الاردن ، ٢٠٠٥ : ١٦٥ .

(٣) ينظر : اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : هـ . ريتر ، وزارة المعارف ، استانبول ، ١٩٥٤ : ٣٦٨ .

(٤) مفتاح العلوم : ١٧٤ .

(٥) فنون بلاغية ، د. احمد مطلوب ، دار البحوث العلمية ، ط١ ، الكويت ، ١٩٧٥ : ٢٥ .

(٦) البلاغة فنونها وافنانها : ١٨١ .

(٧) شرح المعلقات السبع : ١٦١ .

(٨) شرح المعلقات السبع : ١٦١ .

تبرز الصورة المكنية بتشكيل بياني يسعى فيه الشاعر إلى تشبيه النار الموقدة بالشخص والجامع بينهما من حيث رؤية النار واضحة جلية ، ورؤية الشاعر بوصفه شخصاً معروفاً في المجتمع ، وبذلك تبدو جماليات الاستعارة المكنية من حيث تشكيلها الجديد غير المتداول بالجمع بين النار ، والشخص .

ب-الاستعارة التصريحية

هي الاستعارة "التي يكون الطرف المذكور من طرف التشبيه هو المشبه به"[١].

من شواهد تشكيل الصورة الاستعارية التصريحية قول الشاعر في البيت الثامن عشر :

زعمُوا ان من ضرَبَ العَيْـ رَ مَوالٍ لنا وأنّا الولاءُ[٢]

يعبر الشاعر بتشكيل استعاري اذ يشبه العير (السيد/ الحمار / الوتد / جبل) بحسب طريقة المعنى من المتلقي الذي يقرا البيت بالموال على اختلاف الثقافة والتفسير، مع حذف معناه وابقاء لازمة من لوازمه (الولاء) على سبيل الاستعارة التصريحية ، اذ تعمل على توليد الدلالات في ذهن المتلقي لإيجاد الشبه المناسب لهذه الاستعارة .

ومن نماذج تشكيل الصورة الاستعارية التصريحية قول الشاعر في البيت الثلاثين :

إن نبشتُمْ ما بينَ مِلحَةَ فالصّا قِبِ فيهِ الامواتُ والاحياءُ[٣]

يعمل الشاعر على تشكيل إستعاري إذ يشبه الصاقب بالأموات والاحياء معاً ويترك المشبه ليتأمل فيه القارئ في توجيه المعنى المراد من الاستعارة من حيث ترك فعل البحث عن الحروب بين قوم الشاعر وقوم آخرين وعن المعركة، فتثير قضية الثأر للقتلى الذي لم يثأر بها أمواتاً والذين لم تثر بهم احياء لأنهم لما قتل بهم من اعدائهم كأنهم عادوا أحياء بعدم ذهاب دمائهم . وبذلك يُعبر الشاعر عن جدلية الاستعارة التصريحية بالمقارنة بين الأموات والأحياء من حيث الثأر وعدمه الذين يقومون به القوم للاعتراف بالميت بعد موته وايحاء ذكره بالثأر له .

٣- الصورة الكنائية :-

الكناية هي " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي به إليه ويجعله دليلاً عليه"[٤]. فليست

---

(١) مفتاح العلوم : ١٥٨ .

(٢) شرح المعلقات السبع: ١٦٤ .

(٣) م . ن : ١٦٦ .

(٤) دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، مطبعة الفتوح الادبية ، ط٥ ، القاهرة ، ١٩٥٢ : ٥٢ .

الكناية كالاستعارة يجري فيها الاستبدال وإنما هي مجاورة تعتمد على تنضيد الأشياء في سلسلة في حين تعييد الاستعارة الأشياء ، وتنظمها على وفق مبدأ الانتقاء[١].

أ- الكناية عن صفة:-

الكناية عن صفة هي " أن نذكر الموصوف وتستر الصفة مع أنها هي المقصودة ، والموصوف هو الملتزم الذي تلزم عنه الصفة أو تلازمه ، ومنه تنتقل إليها"[٢].

ومن أمثلة تشكيل الصورة الكنائية عن صفة قول الشاعر في البيت الخامس عشر :

وأتانا من الحوادِث والانبــا ءُ خطبٌ نُعنى به ونُساءُ [٣]

يقدم الشاعر تشكيلا كنائياً بالصفة اذ يوحي السياق الشعري بمدى الحزن الذي عليه القوم من جراء الحوادث ، والأخبار لتعبر عن مدى الخطب الجلل الذي سحبهم الى الحزن الشديد لأن الأمر يخصهم جداً لما له من مصائب وأثار على أفراد القوم .

ومن نماذج تشكيل الصورة الكنائية عن صفة قول الشاعر في البيت التاسع عشر :

أجمعُوا أمرَهُم عِشاءً فلمَّا أصبَحُوا أصبَحَتْ لَهُم ضوضاءُ[٤]

يعمل الشاعر على تقديم تشكيل كنائي بالصفة التي تدل على القلب وتوطين النفس عليه بالفعلين (اجمعوا / أمرهم) مع تحديد موعد هذا العقد (عشاء) وتضيف كلمة (ضوضاء) جمالية على التشكيل الكنائي من إطباق القتال بحسب إجماع أمرهم ، وبالضرورة ستصدر الضوضاء من أثر وقع السيوف على أرض المعركة .

ب- الكناية عن موصوف :

تُمثل هذه الكناية " أن نذكر في الكلام صفة ، أو عدة صفات لها اختصاص ظاهر بموصوف معين ، ويقصد بذكرها الدلالة هذا الموصوف"[٥].

ومن شواهد تشكيل الصورة الكنائية عن موصوف قول الشاعر في البيت الحادي عشر :

أنسَتْ نبأةً وأفزَعَها القُنَّــ ـاص عَصراً وَقد دَنَا الامساءُ[١]

---

(١) ينظر: الاسلوبية ونظرية النص ، د. ابراهيم خليل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٧ : ١١٨ .

(٢) صناعة الكتابة ، اسعد احمد حلمي ، وفكتور الكك ، دار السؤال ، ط٤ ، دمشق ، ١٩٨١ : ٣٥٣ .

(٣) شرح المعلقات السبع: ١٦٣ .

(٤) م . ن : ١٦٤ .

(٥) علم البيان : ٢٢٦-٢٢٧ .

يُعبر الشاعر بتشكيل كنائي عن موصوف هو الصوت الخفي الذي يسمعه الانسان ويتقبله بالمفردة (النبأة) من حيث فعل النعامة ، وإحساسها وإفزاعها في وقت المساء ؛ لأن الشاعر قد شبه قامتها بهذه النعامة من حيث الاسراع كما يبدو في البيت العاشر من الكناية يشده الاسراع من ولا سيما وقت المساء .

ومن نماذج تشكيل الصورة الكنائية عن موصوف قول الشعر في البيت الحادي والعشرين :

أيُّها النَّاطِقُ المُرَقِّشُ عَنَّا عند عمروٍ وهل لذاك بقاءُ[٢]

يُقدِّم الشاعر تشكيلا كنائياً يعبر فيه عن موصوف هو النميمة التي لزرع الحقد ، والشِقاق بين الطرفين من كلام هو الكذب بعينه ، ويعبر التشكيل الكنائي عن هدف التمام بفعله الذين يريد فيه التعريض ولكن يعرف كل طرف حدوده وبقيت المحبة بينهما لأن القوم تحت طاعة هذا الملك وانقياده ، والملك يعرف مدى التزام القوم بذلك ، بفعل النميمة سدى ولم تؤثر في اي امر بين الطرفين .

المبحث الثاني : تشكيل الصورة الشعرية على وفق المعيار النقدي الحديث

١- الصورة الثابتة / الصورة الحركية :-

تعتمد الصورة الثابتة على عدم التغيير في حين تعمل الصورة الحركية على تطوير الحدث الشعري ، وتعميق الافكار لأنها الاكثر اكتمالاً واهمية[٣]، إذ تعتمد الصورة الحركية في رسم ملامحها على الفعل إذ يتكئ الشاعر عليها لتحريك مفردات الصورة بوصفها الاداة الأولى الفعالة في تحريك الصورة الشعرية[٤] .

ومن أمثلة تشكيل الصورة الثابتة قول الشاعر في الابيات الثاني والثالث والرابع :

بعدَ عهدٍ لنا ببرقَةِ شمَّا ءَ فأدنى دِيارِها الخَلصاء

فالمحيَّاةُ فالصِّفاحُ فأعنا قُ فَتاقٍ فعاذِبٌ فالوفاءُ

فرياضُ الفطا فأوديةُ الشُّرْ بُب فالشِّعبتانِ فالأبلاءُ[٥]

يُقدِّم الشاعر صوراً ثابتة ليقابلها بالصور الحركية من حيث عرض الأمكنة للدلالة على الفراق بعد لقائها من حيث العهد ببرقة مع ذكر الديار إذ عزمت على الرحيل لذا يذكر الشاعر

---

(١) شرح المعلقات السبع: ١٦٢ .

(٢) م . ن : ١٦٤ .

(٣) ينظر : دير الملاك ، د, محسن اطيمش ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٢ : ٢٨٦ .

(٤) ينظر : عضوية الادارة الشعرية ، د. محمد صابر عبيد ، دار مجدلاوي ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ٢٧ .

(٥) شرح المعلقات السبع: ١٦١ .

أقرب الديار الى الحبيبة (المهاة / الضاح /) بما فيها من أمكنة أليفة ومعاديه على حد سواء إذ عملت هذه الصورة الثابتة على تعميق أذى الشاعر تجاه الفراق وعمله بتذكر اللقاء ووضع الأمكنة القريبة أمام ناظريه .

ومن أمثلة تشكيل الصورة الحركية قول الشاعر في البيت الثامن والسبعين :

ثمّ جاؤوا يسترجِعونَ فَلَمْ تَرْ جِعْ لَهُم شامَةٌ ولا زَهْراءُ[١]

يُعبر الشاعر بتشكيل الصورة على مستوى الحركة لاستفاء الفعل عليها مما يكسبها واقعية من حيث فعل القوم باسترجاع الغنائم للدلالة على التعدي السافر ، والظلم لذا لم يحصلوا على رد الشاة الزهراء البيضاء ، ولا ذات الشامة مما يوحي بعدم ظفرهم بالغنائم فضلاً عن اثبات تقديم للقوم ، ويوحي الفعلان (جاؤوا / ترجع) بموقفهم من حيث الاغارة والفشل بعدم عودة الغنائم لهم .

ومن شواهد تشكيل الصورة الحركية قول الشاعر في البيت الوأحد والثمانين :

ثُمّ خَيْلٌ مِنْ بعد ذاكَ مع الغَلا قِ لا رأفَةٌ ولا إبقاءُ[٢]

يُقدم الشاعر تشكيلاً بالصورة الحركية من خلال فعل المجئ كما في الصورة السابقة ، وإن كان لم يركز على وساطة البقاء إلا أنه في الصورة الآن يذكر الخيل مما يدل على مجيئها مع ركابها ، وتختلف الصورة الأولى عن هذه الصورة بأن القوم لم يعلموا في أخذ الغنائم ، ولكن في هذه الصورة قام ركاب الخيل بالإغارة على القوم فلم ترحمهم ولم يبقِ عليهم أي شيء ، وبذلك تبدو الصورة الحركية بفعل الخيل من الغارة ، مع عدم الرأفة والإبقاء . مما يدل على فعلهم الشنيع تجاه القوم بقسوة ، ووحشية .

٢- الصورة الجزئية / الصورة الكلية :-

تقوم الصورة الجزئية على البساطة في التصوير[٣] في حين تقوم الصورة الكلية على القدرات الابداعية المتنوعة ومستوى متقدم من الوعي الفني لذا تكون من اعقد نماذج الصورة

---

(١) م . ن : ١٧٤ .

(٢) م . ن : ١٧٥ .

(٣) ينظر : الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، د. صالح ابو اصبع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٩ : ٤٢ .

الشعرية[١] بالوحدة العضوية للقصيدة ولا سيما وحدة الصور وتماسكها بمجموعة من الصور الأخرى[٢] .

ومن أمثلة تشكيل الصورة الجزئية ما ورد في البيت الرابع والثلاثين إذ يقول الشاعر :

هلْ علمتم أيّامَ يُنتهَبُ النّا سُ غِواراً لكُلّ حيٍّ عُوَاءُ[٣]

يقدم الشاعر تشكيل الصورة الجزئية تقوم على جمل بسيطة للتذكير بأيام الحروب وحماية القوم من إغارة الناس بعضهم على البعض الآخر مع علاء الضجيج والصياح ، ومن ذلك (هل علمتم) و (ينهب الثاني) اللتين صورتا الحدث الشعري الجزئي للوصول الى النهاية الخامس والثلاثين.

من نماذج تشكيل الصورة الجزئية ما جاء في البيت الثاني والاربعين اذ يقول الشاعر :

إذْ أحلَّ العَلياءَ قُبّةَ ميسُو نَ فأدْنى ديارِها العَوصاءُ[٤]

يعرض الشاعر تشكيلاً بصورة بسيطة تقوم على احلال العلياء من حيث انزال الملك قبة المرأة علياء قريبة من الديار مما يوحي بمكانة هذه المرأة (ميسون) التي ذكر باسمها الصريح ضمن الصورة وتم انزال قيمتها، وتكتمل هذه الصورة الجزئية للوصول الى الصورة الكلية في البيتين الثالث والرابع بعد الاربعين .

من شواهد تشكيل الصورة الكلية قول الشاعر في البيتين الخامس والسادس بعد الثلاثين :

إذ رفعنا الجِمالَ مِنْ سَعفِ البحـ ـرينِ سيراً حتى نهاها الحِساءُ

ثمّمِلنا علـــــى تميمٍ فأحرمـ ـنا وفينا بناتُ قـــومٍ إماءُ[٥]

بعد ان بدأ الشاعر بتشكيل صورة جزئية من ذكريات أيام الحرب ، وحماية الناس من الإغارة . يكمل تعاميل الحدث الشعري من حيث رفع الحبال من سعف البحرين للوصول الى موضع الماء ما يوحي بالسير الشديد والإغارة على القبائل للوصول الى الهدف المنشود . ويتابع الشاعر الصور الجزئية بعد الوصول الى المساء تمت فيه الإغارة على بني تميم ، ثم دخل الشهر الحرام مع وجود السبايا لذا تكتمل الصورة الكلية بمجموعة من الصور الجزئية

---

(١) ينظر : مرايا التخييل الشعري ، د. محمد صابر عبيد ، مؤسسة البيان ، ط١ ، السعودية ، ٢٠٠٦ : ٢٠٢

(٢) ينظر: الصورة الفنية معياراً نقدياً ، د. عبد الاله الصائغ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٧ : ١٥٤ .

(٣) شرح المعلقات السبع: : ١٦٧ .

(٤) م . ن : ١٦٨ .

(٥) م . ن : ١٦٧ .

لتصوير حالة القوم التي تدل على بطولاتهم وشجاعتهم للرد على الاغارة وعدم الرضا بالاعتداء.

ومن أمثلة تشكيل الصورة الكلية قول الشاعر في البيتين الثالث والرابع بعد الاربعين

فتاوَتْ لـــــه قراضِبَةٌ من كـلّ حـــــيٍّ كأنّهُم ألقاءُ
فهَداهُم بالاسودَينِ وأمرُ اللّــ ــهِ بِلغٌ تشقى بهِ الأشْقياءُ[١]

يكمل الشاعر الصورة الجزئية بعد انزال هذه المرأة ليعرض صوراً اخرى من حيث صورة اللص والتجمع ممّا يوحي الحدث الشعري بتجمع اللصوص الجبناء الذين يشبهون القيان وشجاعتهم ، ومن ثم مواجهتهم مواجهة شرسة لتلقيهم درساً لا ينسوه مدى حياتهم على الرغم من استعداداتهم الكاملة للوصول الى الصورة الكلية للدلالة على يأس القوم ، ودفاعهم المستميت ضد اللصوص الجبناء .

٣- الصورة البسيطة / الصورة المركبة :-

تقوم الصورة البسيطة على التصوير المحدد الذي يدخل في بناء الصورة المركبة التي هي أشمل ، وأكثر تعقيداً[٢] فهي ذات وحدات الكيان تشكل وحدة متكاملة نفسية ومنطقية ، وعفوية[٣].

ومن شواهد تشكيل الصورة البسيطة قول الشاعر في البيت الثامن عشر :

زَعموا أنّ كلّ مَن ضربَ العيـ ـرُ مُوالٍ لنا وأنّا الولاءُ[٤]

يقدم الشاعر تشكيلاً صورياً يقوم على البساطة من حيث الشكل والمعنى بجملة ضرب العير الذي يتحول الى الموالي على وفق رؤية السامع إذ اتسمت الصورة ببساطة التركيب ولكن فتحت معنى واسعاً يقوم فيه التأويل للقارئ كل بحسب معارفه ، وفهمه ، وتذوقه لمفردة (العِير) والمقصود هنا كليب بن وائل سيد بني ربيعة للعمل على بناء الصورة المركبة .

ومن أمثلة تشكيل الصورة البسيطة قول الشاعر في البيت الحادي والستين :

وأقدناهُ رَبَّ غسّانَ بالمُنـ ـذِرِ كرْهاً إذْ لا تُكالُ الدّماءُ[٥]

---

(١) شرح المعلقات السبع: ١٦٩ .

(٢) ينظر : الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة : ٤٢ .

(٣) ينظر : م . ن : ٤٣ .

(٤) شرح المعلقات السبع: ١٦٤ .

(٥) م . ن : ١٧٢ .

يعرض الشاعر تشكيل صورة بسيطة في التركيب بإعطاء ملك غسان قوداً بالمنذر عندما عجز الناس عن أدراك الإثار إذ جعل الدماء مستعاراً للقضبان كما في بنية الصورة الإستعارية ، وقامت هذه الصورة بجملتين هما : (واقدناه رب غسان) و(لا تكال الدماء) ولكن منحت النّص الشعري عمقاً ، وعملت على بناء الصور المركبة بما تقدمه من ايحاءات ودلالات .

ومن نماذج تشكيل الصورة المركبة قول الشاعر في البيت التاسع عشر والعشرين :

اجمعـــوا امـــرهم عشاءً فَلمّا أصبحوا أصبحتْ لهُم ضوضاءُ

من مُنادٍ ومنْ مُجيبٍ ومنْ تصـ ـهالِ خيلٍ خـــلالَ ذاكَ رُغاءُ[١]

يقوم تشكيل الصورة المركبة عند الشاعر لتشكيل بناء حدثي متكامل من حيث جمع الأعداء على قومه من حيث اجماع الامر في موعد العشاء وبدأت الضوضاء عند الصباح ممّا يدل على نيتهم في عقد القلب وتوطين الغنى على هذا الاجماع ، ويعرض الشاعر صورة اخرى ليكمل التركيب من حيث بيان صفوف الذين جمعوا أمرهم (الناد) و (المحيي) من حيث تداخل اصوات الداعين والمحيين عند الإبل والخيل للإيحاء بقمة تاهب هؤلاء الاعداء على قوم الشاعر لذا قدم صورة مركبة تحملت على سياق الحدث المتكامل .

ومن نماذج تشكيل الصورة المركبة قول الشاعر في البتين الثاني والثالث بعد الستين :

وأتيناهُم بتسعةِ أمـــــلا كِ كرامٍ أسلابُهُم* أغـــلاءُ

وولدنا عمرو بن أُمّ أُناسٍ من قريبٍ لمّا أتانا الحِباءُ[٢]

يعرض الشاعر تشكيل الصورة المركبة من حيث بيان بطولات القوم اذ أسروا تسعة من الملوك ، تلف اقوامهم كثيراً من الثياب والسلاح والسيف مما يدل على عظمة اثمانهم ، ويطور الشاعر الصورة المركبة بمجموعة من الصور الاخرى إذ استطاع القوم بزواج ام الملك من أبيه للإيحاء بان قوم الشاعر هم اخوال هذا الملك الذي ولد بعد زمان قريب من الاسر وبذلك يعرض الشاعر الصورة المركبة للإيحاء بالحدث الشعري المتكامل .

الخاتمة :

بعد الانتهاء من الدراسة التحليلية البلاغية والنقدية لتشكيل الصورة الشعرية في معلقة الحارث بن حلزة اليشكري وصل البحث الى مجموعة من النتائج نوردها على وفق ما يأتي :

---

(١) شرح المعلقات السبع: ١٦٤ .

(٢) م . ن : ١٧٢ .

*الاسلاب : جمع السلب وهو الثياب والسلاح والفرس

• ورد تشكيل الصورة في المعلقة على نوعين من الصور المفردة بالتشبيه المرسل المفصل والمرسل بالجمل بالتركيز على بيان وظيفة الاخبار من حيث اركان التشبيه والمشبه والمشبه به فضلاً عن الصور التشبيهية المركبة من امرين او اكثر بالتركيز على فعل الحدث في النص الشعري ، وتمثلت تشكيل الصورة الاستعارية المكنية من حيث تشخيص حيرة البكاء بالشخص ، في حين قامت الاستعارة التصريحية من حيث حذف الشبه ليشكل دلالاته بحسب ثقافته وقراءته وتفهمه كما في (العير) و (الصاقب) من حيث الاموات والاحياء ، وانتظم تشكيل الصورة الكنائية من حيث الصفة (الحزن) للتعبير عن الموقف الشعري من حيث الموصوف (الصوت الخفي) و (التميمة) لوصف الناقة من الصوت ، والتميمة التي تعمل على المشاكلة بين الطرفين .

• يعتمد الشاعر في تشكيل الصور على وفق الثنائيات المتضادة من حيث الصورة الثابتة الخالية من الحركة بعرض سريع على حين الصورة الحركية الا بالفعل للإيحاء بالمواقف ، فضلاً عن الصورة الجزئية لموقف محدد لا يكتمل الا مع الصور الاخرى . لتشكيل الصورة الكلية الحدث الشعري ، ويزاوج الشاعر بين تشكيل الصورة البسيطة بتركيب جملي موجز مع معنى اكثر ليعمل فيه على تشكيل الصورة المركبة التي تجمع اموراً متعددة تدل على البناء المتماسك الذي يتميز بالتعقيد على عكس البساطة في التعبير .

المصادر والمراجع :

• الادب وفنونه ، د. عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٧٦م.
• اسرار البلاغة،عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: هـ . ريتر ، وزارة المعارف ، استانبول ، ١٩٥٤.
• الاسلوبية ونظرية النص، د. ابراهيم خليل ، المؤسسة العربية للدراسات، ط١، بيروت، ١٩٩٧.
• أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، د. فاضل مصطفى الساقي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٧.
• البلاغة التطبيقية ، د. محمد رمضان الجرب ، منشورات جامعة ناصر الخامس ، ط١ ، المغرب ، ١٩٩٧.
• بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل ، دار نوبار للطباعة ،ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٦.
• البلاغة فنونها ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، ط١ ، الاردن ، ٢٠٠٥ .
• التشكيل النصي : الشعري ، السردي ، السيرذاتي ، د. محمد صابر عبيد ، مؤسسة اليمامة ،ط١، الرياض ، ٢٠١٣.
• الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، د. صالح ابو اصبع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٩.

- دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، مطبعة الفتوح الادبية ، ط٥ ، القاهرة ، ١٩٥٢.
- دير الملاك ، د, محسن اطيمش ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٢.
- شرح التلخيص في علوم البلاغة ، دار الجيل ، ط٢، بيروت ، ١٩٨٢.
- شرح المعلقات السبع ، الحسن بن احمد الزوزني ، دار الجبل للنشر والطباعة والتوزيع ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٥.
- صناعة الكتابة ، اسعد احمد حلمي ، وفكتور الكك ، دار السؤال ، ط٤ ، دمشق ، ١٩٨١.
- الصورة الادبية ، د. مصطفى ناصف ، دار الاندلس ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨١ .
- الصورة الشعرية ، د. ي .لويس ، ترجمة : د. احمد نصيف الجنابي ومالك ميري ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٢.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي،د. جابر عصفور،دار التنوير،ط١، بيروت، ١٩٨٣.
- الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير،دار الرشيد للنشر، بغداد،١٩٨١.
- الصورة الفنية في النقد الشعري، د. عبد القادر الرباعي،دار العلوم للطباعة، الرياض،١٩٨٤.
- الصورة الفنية معياراً نقدياً،د.عبد الاله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢،بغداد، ١٩٨٧.
- الطراز ، العلوي ، المكتبة العصرية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠١٢ .
- عضوية الادارة الشعرية ، د. محمد صابر عبيد ، دار مجدلاوي ، ط١ ، ٢٠٠٧ .
- علم البيان ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، دار العالم الثقافية ، السعودية ،١٩٩٨ .
- فن التشبيه ، علي الجندي ، المطبعة الفنية الحديثة ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- فنون بلاغية ، د. احمد مطلوب ، دار البحوث العلمية ، ط١ ، الكويت ، ١٩٧٥ .
- في المصطلح النقدي ، د. احمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي ، العراق ، بغداد ، ٢٠٠٢.
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ابن الاثير ، دار نهضة مصر ،القاهرة ، ١٩٧٣.
- مرايا التخييل الشعري ، د. محمد صابر عبيد ، مؤسسة البيان ، ط١ ، السعودية ، ٢٠٠٦.
- مستقبل الشعر وقضاياه النقدية ، د. عناد غزوان ، دار الشؤون العامة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩٤.
- مفتاح العلوم ، السكاكي ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٧.
- النظرية البنائية في النقد الادبي ، د. صلاح فضل ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨.